﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر: 92 - 93]

## مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِما قَبلَهُما:

مجازاةُ الذين يجعلون القرآن عضين، بالسُّؤالِ والتّقريع يومَ الدّين

لمّا جعل المُقتسمونَ القرآنَ عِضينَ؛ تسبَّب عن فعلِهم وترتّب عليه قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، بالتّأكيد بالقَسَم وما تلاه مِن مؤكّدات، على معاقبتهم ومجازاتهم على ما دأبوا عليه مِن أعمالٍ سيِّئةٍ، ومنها: أنهم ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، وكأنَّه قيل عن ماذا يُسألون؟ فقيل: ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

## المَعنى الإجْماليُّ:

السّؤالُ يومَ القيامةِ لجميعِ النّاس، وأشَدُّه ما يكون على المُكذّبين بالقرآن

أقسم اللّهُ تعالى في هذه الآية بربوبيّته؛ تعظيمًا للمُقْسَم عليه، وتشريفًا لنبيِّه ﷺ، فقال ما معناه: فوربِّك يا محمَّدُ لنسألنَّ هؤلاء الذين جعلوا القرآنَ عِضينَ عن جميعِ ما كانوا يعملون في الدّنيا، أي: لَنَسْألَنَّهم يومَ القيامةِ فيما أمرناهم به، وفيما بعثناكَ به إليهم، مِن آيِ كتابي الذي أنزلتُه إليهم، وفيما دعوناهم إليه مِنَ الإقرار به، ومِن توحيدي والبراءةِ مِنَ الشّرك، كما أنَّه تعالى سيَسْألُ جميعَ النّاسِ يومَ القيامة عمّا كانوا يعملون، ويحاسبُهم عليه، فإنَّه تعالى عنده عِلْمُ كلِّ شيءٍ[1].

## الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### فائدة الفاء في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾:

كلُّ أعمالِ الكُفرِ والمُنكرِ متفرِّعةٌ مِنَ الكفرِ بالقرآن، وتكذيبِ بعضِه أو كلِّه

أفادتِ الفاءُ التّرتُّبَ والتّفريعَ، والمُفرَّعُ هو القَسَمُ وجوابُه، أي: تسبّب عن جعلِهمُ القرآنَ عضين أنّنا نُقْسِمُ بربّك لَنسألنَّهم عمّا كانوا يعملون[2]، وفيه تهويلٌ وترهيبٌ مِن هذا العمل؛ إذ تسبَّب جَعْلُهمُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/149.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/237، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92.

القرآنَ عضينَ، وهو عملٌ واحدٌ، في سؤالهم يومَ القيامةِ عن جميعِ ما كانوا يعملون؛ للإشعار بأنَّ كلَّ أعمال الكفر والمنكر متفرّعةٌ مِنَ الكفرِ بالقرآن، وإنكارِ أن يكون من عند الله تعالى، وذهب بعضُ المُفَسّرين إلى أنَّ التَّفريعَ في الآية هو على ما سَبَقَ مِنْ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: 85]، والمعنى: إنّ السّاعة آتيةٌ فاصفحِ الصَّفحَ الجميلَ عنِ المُسيئين؛ لأنّنا نُقْسِم بالموجِد لك ومُدَبِّر أمورِك لَنسألنَّهم أجمعين يومَ القيامة[1].

### دلالةُ الواوِ في قولِه: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾:

كلُّ وعيدٍ قُرِنَ بالقَسَمِ، فهو في غايةِ الشِّدَّةِ والحَزم

واو القسم تُفيد تعظيمَ المُقْسَم عليه، وأنَّه واقعٌ لا محالةَ، كما أنَّه لمّا جاء القَسَم في سياق الوعيد، أفاد أنّه وعيدٌ شديدٌ في نهاية الشّدّة؛ لأنّه وعيد مقرونٌ بالقَسَم، وكلُّ وعيدٍ قُرِنَ بالقَسَم فهو في غايةِ الشِّدَّة[2].

### سببُ إيثارِ التّعبير بالرّبوبيّة في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾:

سُؤالُ الله المُكَذِّبينَ سُؤالُ رَبٍّ يَغْضَبُ لِرَسولِه ﷺ

أَقْسَمَ تعالى بِذاتِهِ ورُبوبيَّتِهِ مُضافًا إلى الضّمير العائد إلى رَسولِهِ على جِهَةِ تشريفِه ﷺ، والمعنى: نقْسِم بالموجِد لك، المُدَبِّر لأمرِكَ، المُحْسِن إليك بإرسالك، لنسألنَّهم عمّا كانوا يعملون، وفي الإضافة إلى ضمير الخطاب إيماءٌ إلى أنَّ في السُّؤالِ المُقْسَم عَلَيْهِ حَظًّا مِنَ التَّنْويهِ بِهِ، وهو سُؤالُ اللّهِ المُكَذِّبينَ عن تَكْذيبِهِم رسولَه ﷺ، وجَحْدِهم لرسالته، وافترائِهم عليها، سُؤال رَبٍّ يَغْضَبُ لِرَسولِه ﷺ، وفيه بيانٌ لعظيم محبَّة اللّهِ لرسوله ﷺ، ولمّا جاء الخطابُ لرسول الله ﷺ، والسّؤالُ بضمير الغائبين؛ أفادَ أنَّه ﷺ لن يُسأَلَ أصلًا، فجَمعَ في هذه الآية بين لُطف العبارة لرسولِه الأمين ﷺ، والتّهديدِ والوعيدِ للكافرين ولأهل المعاصي أجمعين[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/87.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/466.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/497، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/90، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/87.

### بلاغةُ مَجيء الكلامِ على خِلاف مقتضى الظّاهر:

لمّا كان شأنُ السّؤالِ في الظّاهر أن يكون سؤالَ استفهام واستعلام، وكان اللّهُ تعالى هو الأعلم بعملِهم، فلا يسألهم: هل عملتُم كذا وكذا؛ كان التّعبيرُ بقولِه تعالى: ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ على خلاف مقتضى الظّاهر، فإمّا أن يكون على الكناية، بأن يُراد مِنَ السّؤال لازمُه، وهو المُجازاة على العمل وعقابُ المسؤول، فيُفيدُ الوعيدَ والتّهديدَ، كما تقول لَمن تُهدِّدُه: إنَّما تُسألُ عمّا تفعل، أي: نُجازيكَ به؛ وإمّا أن يكون السّؤالُ سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ، فيُقال لهم: لمَ جَعَلتُم القرآنَ عِضينَ؟ ولمَ عصيتُم وتركتُمُ الإيمانَ؟ فتظهرُ فضيحتُهم عند تَعَذّر الجواب، وتتبعُه المجازاةُ على العمل، كما أنَّ مُجرّد توجيهِ السّؤال إليهم فيه لَونٌ مِنَ العذاب[1].

عـذابُ اللـهِ لاحقٌ بالمكذّبين بالقرآن المُبين، مع ظهور فضيحتِهم يومَ الدّين

### فائدةُ التّعبيرِ بنون العَظَمة في قوله: ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾:

أُسْنِد السّؤالُ إليه ﷻ بنون العَظَمة؛ لِترهيب المسؤولين وتهديدهم، ولبيانِ جَلال الأمر، وعِظَم ما يرتكبونَ، وللإيذانِ بأنَّه لا يمتنع عليه سبحانَه أحدٌ منهم، ويفيد المعنى بلازمِه: أنَّه تعالى لا يتركُهم، وليس بغافلٍ عنهم، وإن كانوا يَلْهون ويتقوّلون على القرآن، ويُفرّقون القولَ فيه[2].

التّعبيرُ بالعَظَمة لترهيب المسؤولين يومَ القيامةِ، ولبيانِ عِظَم المَلامة

### فائدةُ تتابعِ التّوكيد في قوله: ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾:

جاءتِ الجملةُ مؤكَّدةً بالقَسَم وبالنّون الثّقيلة اللّاحقة للفعل؛ لأنَّ المُخاطَبين كانوا مُنكرين سؤالَ اللّهِ تعالى لهم يومَ القيامةِ عمّا كانوا يعملون في الدّنيا، فجاء الخبرُ على طريقة الخبرِ الإنكاريّ، كما أفاد التّوكيدُ تشديدَ التّهديدِ والوعيد عليهم، وفي تتابع التّأكيد إيماءٌ إلى أنَّه تعالى سيسألُهم عن أدقِّ التّفاصيل[3].

تهديدُ المُكذّبين بالقرآن، بأنَّه تعالى سيسألُهم عن أدقِّ التّفاصيل

(1) النّسفيّ، التّيسير: 9/226، والطّيبيّ، حاشية على الكشاف: 9/65، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/497، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/4115.

(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 13/7779.

تخصيص المُقْتسمين بالسّؤال، تهويلٌ لتكذيبهم القرآنَ بما يقال

**دلالةُ عودِ الضّمير في قوله: ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾:**

الظّاهرُ أنَّ الضّمير في ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ يَعودُ على جميع المُكلَّفين، مِنْ كافرٍ ومُؤْمِنٍ؛ لِأنَّ ذِكْرَهُم قد تَقَدَّمَ في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩﴾ [الحجر: 89]، أيْ: لِجَميعِ الخَلْقِ، وقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ المُؤْمنين وذِكْر الكافرين، فيعودُ قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ على الكُلِّ، ويُؤيّده أنَّ السّؤالَ يكون في يوم القيامة، فيَدُلُّ على أنَّ السّؤال لعموم المكلَّفين، إلّا مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ، ويحتمل أن يعود إلى المُقْتَسِمينَ؛ لأنَّهمُ الأقربُ ذِكْرًا، ويَكونُ المعنى: أنَّهُ تَعالَى أقْسَمَ بِنَفْسِهِ أنْ يَسْأَلَ هَؤُلاءِ المُقْتَسِمينَ عَمّا كانوا يقولونه مِن اقْتِسام القُرْآنِ وجَعْلِه مُتفرّقًا في زعمهمُ الباطلِ، وعَنْ سائِرِ المَعاصي، كما أنَّ قصر هذا السّؤال على المَذكورين في السّياق، وصرفَ العموم إليهم؛ لا ينافي سُؤالَ غيرهم، ويكون تخصيصُ السّؤالِ بهؤلاء المُقتسمينَ تهويلًا لِجَعْلِهمُ القرآنَ ﴿عِضِينَ ٩١﴾ وجحودِهم له[1].

لن يتفلّت أحدٌ مِنَ المكذّبين مِنَ السّؤال، وسوف يسألُهم واحدًا إثْرَ واحد

**نُكْتَةُ التّعبير بالتّوكيد بلفظ ﴿أَجۡمَعِينَ﴾:**

عبّر بـ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ تأكيدًا للضّمير في ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾؛ لِدَفْعِ لَبْسِ ما قد يُتَوَهّم، أنّه سيسأل أكثرَهم أو الغالبَ منهم، لِيُفيدَ لفظُ ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ تأكيدَ العموم الذي دَلَّ عليه الضّميرُ العائدُ كما تقدَّم، والمعنى: لن يتفلَّت أحدٌ ممّن يعود عليه الضّميرُ مِنَ السّؤال، وعبّرَ بـ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ دونَ (مجموعين)؛ لإفادة أنَّه تعالى سيسألُهم واحدًا واحدًا[2].

سؤالُ الله يومَ القيامة للمكلَّفين يكون سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ، وإقامةٍ للحُجّة

**دَفعُ إيهامِ التّعارضِ بين الآية المُثبِتَةِ لوقوع السّؤال، وبين غيرها مِنَ الآيات:**

فَإنْ قيل: كَيْفَ الجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِه تعالى: ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩﴾ [الرَّحمَن: 39]؟

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/164، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/61، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/497، والآلوسي، روح المعاني: 3/172.

(2) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 1008.

فالجوابُ عنه مِنْ وجوه:

الوجه الأوَّلُ: أنَّ المَنفيَّ هو سؤالُ الاستفهام والاستعلام؛ لِأنَّهُ تَعالى عالمٌ بِكُلِّ أعْمالِهم، والمُؤَكَّدُ وقوعُه بالقَسَم في قولِه: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هو سؤالُ التّقريع والتّوبيخ، فيُقالُ لَهُم: لِمَ فعَلْتُم كَذا؟ فحين نفى السّؤالَ، نفى أنَّ أحدًا سيُخبرُه بما لا يعلم سبحانَه؛ وحين أثبتَ السّؤالَ؛ فهذا يعني أنَّه سيسألُهم سؤالَ الإقرارِ والتّقريعِ والتّوبيخ، ففيه إقامةٌ للحُجّة عليهم أمامَ الخَلْق.

والوجه الثّاني: أنَّ النّفيَ بالنّسبة إلى بعض المواقف يومَ القيامة، والإثباتَ بالنّسبة إلى بعضها الآخر، فيومُ القيامةِ يومٌ طويل يشتمل على مواقفَ ومواطنَ مهولةٍ، وأحوالٍ مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارةُ والأخبارُ لاختلاف المقاصد والمواطن، ففي بعض المَواقف يُسألون، وفي بعضها لا يُسألون، ونَظيرُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ [المُرسَلات: 35]، وقالَ تعالى في آيَةٍ أُخْرَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزُّمَر: 31].

والوجه الثّالث: أن يقال: لا تعارضَ بينَ الآيتين، فقولُه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [الرحمن: 39] يفيد عمومَ النّفي، وقولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ عائِدٌ إلى المُقْتَسِمينَ، وهَذا خاصٌّ بهم، ولا شَكَّ أنَّ الخاصَّ مُقدَّمٌ على العامِّ، فالمعنى: نفيُ السّؤالِ عنِ الجميع إلّا سؤالَ المُقتسمين(1).

## سببُ إيثارِ السّؤال عمّا سلفَ مِن عملهم:

السّؤالُ يومَ القيامة يكون عنِ الدّاعي إلى معصيةِ الله على جهة التّهديد

وقع السّؤالُ بـ﴿عَمَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ لأنَّه تعالى لا يسألهم: هل عملتُم كذا وكذا؟ فهو تعالى أعلمُ بهم وبأعمالهم منهم، وأفاد السّؤالُ بـ﴿عَمَّا﴾ أنَّ السّؤالَ يكون عن سبب

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 12/668، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/395، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/164، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/61.

العمل، والدّاعي إليه على جهة التّهديد والمُجازاة على العمل؛ ليفيدَ قيامَ الحُجّة عليهم، وافتضاحَهُم يومَ القيامةِ.

**دلالةُ (ما) في قوله: ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾:**

سؤالُ اللهِ تعالى عنِ الأعمال المُنكرة، لا عنِ الأعمال الصّالحةِ المؤثّرة

لمّا كان لفظُ (ما) اسمًا موصولًا يُفيد العمومَ دخل فيه السّؤالُ عن جميع ما كانوا يعملون، ولمّا جاء الكلام في سياق التّهديدِ والوعيد، دَلَّ على أنَّ المرادَ بـ(ما) ما كان قبيحًا مِنَ الأعمال، فلا تدخل فيه الأعمالُ الصّالحةُ، وسببُ إيرادِ لفظِ العموم مُرتّبًا على جَعْلهمُ القرآنَ عِضين؛ بيانُ أنَّ كلَّ عملٍ أو قولٍ قالوه هو مُتفرِّعٌ على وصفهم للقرآن بأنّه عضين، فيدخلُ فيه وصْفُهم لرسول اللّه ﷺ بالسّحر والشّعر والكذب، فهو نفس التّعضيَةِ، فيُسألُ كلُّ أحدٍ بحسب جِرمِه وعصيانِه، فالكافر يُسأل عن (لا إله إلّا اللّه)، وعنِ الرّسل، وعن كُفْره باللّه وبالقرآن، والمؤمنُ العاصي يُسأل عن تضييعِه للامتثال بالقرآن، وكلُّ مُكلّف عمّا كُلّف القيامَ به، ويدخل فيه سؤالُ المُكذّبين بتعضيتهم للقرآن وتفريقهم له دُخولًا أوّليًّا[1].

**دلالةُ تركيبِ جملة: ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾:**

المُنكرُ مِنَ القبائح مُستَبشَعٌ، والمُداومةُ عليه أشَدُّ بشاعةً

تُفيد صيغةُ (كان يفعل) أنَّ فِعلَ القبائحِ، ومنه تعضيتُهم للقرآن، كان كالطّبع للمُقتسمين؛ لاستمرارِهم على المُنكر، وتجدُّده منهم، وكأنّ سؤالَهم كان بسبب مداومتِهم على التّكذيب، فلو كذّبوا ثمَّ تابوا لما وقعَ السّؤالُ.

**دلالةُ التّعبير بالموصول وصلتِه:**

عملُ المنكرِ، والاستمرارُ عليه، سببُ وعيدِ اللهِ بالعذابِ لديه

عبّر بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ ليَصِحَّ إحضارُه بواسطة جملةِ الصّلةِ المعلومةِ الانتسابِ، إلى مُشارٍ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/375، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92.

إليه في ذِهْنِ المُخاطَبين؛ للإشعار بأنَّ عملَهم معلومٌ عندَ المُخاطَبين، وقد اشتهروا به، ولِتُفيدَ صِلةُ الموصول بيانَ سببِ تشديدِ الوعيد بالسّؤال، ففيه إشعارٌ بأنَّ عملَهمُ القبيحَ، واستمرارَهم عليه، هو سببُ الوعيدِ لهم بالسّؤال يومَ القيامة.